جامع الجمعة في سامراء

تخطيطه وصيانته

بقلم : ربيع القيسي
منقب آثار

نبذة تاريخية :

سامراء هي العاصمة الثانية من عواصم خلفاء بني العباس انشأها الخليفة المعتصم بالله بن هرون الرشيد سنة ٢٢١هـ ـ ٨٣٥ م في الجانب الشرقي من نهر دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا[١] ، لتكون حاضرة الخلافة بدل بغداد التي كانت زمن المعتصم مركزا كبيرا لقوميات وأجناس مختلفة على رأسهم الاتراك .

وقد اختلف الباحثون في تعليل الدوافع التي حدت بالمعتصم الانتقال الى العاصمة الثانية . فقسم منهم ادعى ان السبب هو الاتراك الذين كانوا يؤذون الناس ووجودهم قد خلق مشاكل كثيرة[٢] وفريق آخر يرى ان وراء خروج المعتصم من بغداد أسبابا عديدة منها سياسته العنصرية الخاطئة في اعتماده على الاتراك دون العرب ، وانتصاره للمعتزلة واضطهاد خصومهم ، والمصاعب التي واجهته في فتنة الهنود الذين عرفوا في التاريخ بالزط ، ومعاداته للعلويين[٣] .

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان ، الجزء الخامس ص ١٣ ، طبع القاهرة ١٩٠٦ .

(٢) جاء في كتاب البلدان لليعقوبي ص ٢٣ طبع النجف ١٩١٨ [وكان اولئك الاتراك العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا وشمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا ويضربون بعضا وتذهب دماؤهم هدرا لا يعدون على من فعل ذلك فثقل ذلك على المعتصم وعزم على الخروج من بغداد] .

(٣) دكتور حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام السياسي ، الجزء الثاني طبع القاهرة ص ٧١ .

ومهما كان السبب فالعادة قد جرت بين الامراء والخلفاء أن يغيروا مقار حكمهم لذا أنشأ الخليفة المعتصم بالله مدينة سامراء واتخذها عاصمة لملكه سكنها من بعده سبعة خلفاء هم : الواثق ، المتوكل المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهتدي ، وكان آخرهم المعتمد على الله الذي سكنها بضع سنين ثم هجرها لينقل مقر الخلافة ثانية الى بغداد . ومن هنا أخذت سامراء بالاضمحلال تدريجيا الى أن أصبحت دار خراب ولم يبق منها سوى أطلالها الكثيرة المنتشرة على الجانب الشرقي من نهر دجلة ولمسافة (٣٤) كم باستثناء بعض معالمها التي ما زالت قائمة من أهمها جامع الجمعة ومنارته الملوية .

تخطيط الجامع الكبير :

تذكر المصادر التاريخية ان المعتصم لدى اتخاذه مدينة سامراء عاصمة لحكمه أسس المسجد الجامع أولا ومن ثم أختطت من حوله الاسواق والدور والقطائع . وقد بقي ذلك المسجد الى أيام الخليفة المتوكل الذي بدأ ـ كما ذكر الدكتور أحمد سوسة نقلا عن سبط ابن الجوزي ـ بانشاء جامع ضخم في سنة ٢٣٤ هـ ـ ٨٤٩ م بدلا من الجامع القديم فرغ من بنائه سنة ٢٣٧ هـ ـ ٨٥٢ م وانفق عليه ما يعادل (٦٠٠) ألف دينار[٤] . وما يزال هذا الجامع الذي شيده المتوكل يعتبر من أكبر وأهم المساجد الاثرية الباقية والتي شيدت في العصور الاسلامية المختلفة[٥] .

وصف الجامع من الخارج :

يمتاز هذا الجامع بوسعه وضخامته وبمئذنته الحلزونية . ومما يؤسف له ان معظم معالمه وطرزه المعمارية قد اندثرت بسبب نقل مواده البنائية من قبل الاهلين واستعمالها لاغراض البناء الخاصة ولم يبق منه سوى جدرانه الداخلية لارتفاع يتراوح بين (١٠ متر ـ ١٢ متر) والسبب يرجع الى عظم سمكها الذي يزيد على (٢٫٥) متر .

كان يحيط بالجامع سوران ، الخارجي مبني باللبن مستطيل الشكل مقاساته نحو (٤٤٠ متر × ٣٧٦ متر) يدعمه (٦٨) برجا موزعة على أضلاعه بالنحو التالي : أربعة منها كبيرة ودائرية تقريبا عند أركانه ، وسبعة عشر برجا في كل من ضلعيه الشرقي والغربي ، وفي كل من الضلعين الشمالي والجنوبي خمسة عشر برجا وكلها بهيئة نصف دائرية .

أما السور الداخلي فهو مشيد بالآجر ومستطيل الشكل أيضا مقاساته (٢٤٠ متر × ١٥٦ متر) مدعم من الخارج بأربع وأربعين برجا بهيئة نصف دائرية وموزعة على أضلاعه بالصورة الاتية : ثمانية أبراج منها في كل من الضلعين الشمالي والجنوبي والمسافات بينها غير متساوية حيث تتراوح ما بين ١٤ متر ـ ١٥ و ١٤ متر مشيدة

---

(٤) احمد سوسة ـ دى سامراء مطبعة المعارف ١٩٤٨ ، الجزء الاول ص ١١٢ .

(٥) قال اليعقوبي في البلدان ص ٣٢ عند وصفه للمسجدين القديم والجديد : [بانه قد ضاق على الناس فهدمه وبنى مسجدا جامعا واسعا في أول الحير في موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شيء من القطائع والاسواق وأتقنه ووسعه وأحكم بناءه] .

على قواعد مستطيلة أضلاعها تمس محيط البرج مقاساته (٣٫٩٠ متر × ٢٫٢٥ متر) • وفي كل من الضلعين الشرقي والغربي اثنا عشر برجا مشيدة على قواعد تناظر بقياساتها قواعد الابراج السابقة والمسافات بينها غير متساوية اذ تتراوح مابين (١٤٫٤٠ متر – ١٥٫٦٥ متر) • هذا بالاضافة الى وجود أربعة أبراج دائرية تقريبا كل منها في ركن من أركان الجامع وهي أكبر من باقي الابراج ومشيدة على قواعد مستطيلة أضلاعها تمس محيط البرج كذلك وقياساتها (٥٫٤٥ متر × ٥٫٢٥ متر) •

وتزين الاجزاء العليا من أضلاع الجامع الاربعة من الخارج زخارف هندسية قوامها مشكاوات مدورة ومقعرة ومحاطة باطار منتظم مربع الشكل تقريبا ضلعه نحو (١٫٧٠) متر ، وبين كل برج والبرج الذي يليه ست مشكاوات ماعدا الجزء الاول الى الجنوب في كل من الجهتين الشرقية والغربية حيث يكون عددها خمسة فقط • وفوق تلك المشكاوات وعلى ارتفاع (٣٠ سم) تقريبا منها نجد افريزا يتكون من صفين من الآجر – سنأتي على ذكره عند كلامنا عن الصيانة التي أجريت في الجامع – وفي أضلاع الجامع ميازيب عديدة كان الغرض منها تصريف المياه عرضها يتراوح بين (٣٧ سم – ٤٠ سم) وعمقها بين (٢٧ سم – ٣٠ سم) ، استحدثت بواسطة نقر الجدران • والذي يلاحظ أن البعض من تلك الميازيب يخترق قسما من المشاكي •(انظر المصورة رقم ٤) • وقد قامت مديرية الاثار العامة عام ١٩٦٧ – ١٩٦٨ بصيانة ما هو موجود من تلك المشاكي والميازيب في الضلع الشمالية للجامع •

وتقوم منارة الجامع على بعد (٢٧٫٢٥) متر من الضلع الشمالية والمشهورة باسم «الملوية»(٦) وهي مبتناة على قاعدة مربعة طول ضلعها (٣٣) متر مزينة بمشكاوات معقودة بأقواس مدببة عرض كل منها متر واحد وارتفاعها – اعتبارا من الارضية وحتى رأس القوس – (٢٫٢٥ متر)• ويبلغ مجموع عددها (٣٣) مشكاة ، ست منها في الجانب المواجه للضلع الشمالية من الجامع وتسع منها في كل من جهاتها الثلاث الباقية • وفوق القاعدة ينتصب بدن المنارة على شكل حلزوني مؤلف من خمس طبقات تتناقص سعتها كلما ارتفعت الى الاعلى يدور حولها درج يؤدي في نهايته الى قمة المنارة وهي مزينة من الخارج بمشاكي عددها ثمان احداها التي تقع عند الجانب الجنوبي للمنارة مفتوحة وبها باب يوصل الى سلم شديد الانحدار يبدأ مستقيما ثم يصير حلزونيا وفي نهايته نجد قمة المئذنة التي تعلو ارتفاعا نحو خمسين مترا فوق سطح قاعدتها (انظر المصورة رقم ٣) •

وقد ارتأى الاستاذ هرتسفلد بأنه كان لهذا السلم الحلزوني الذي يلف حول بدن المنارة سياجا من الخشب وذلك لوجود ثقوب على الجانب الخارجي منه اعتقد أنها كانت لتثبيت قوائم ذلك السياج • كما لاحظ أيضا وجود ثمانية حفر

(٦) جاء في معجم البلدان لياقوت الحموى ، الجزء الخامس ص ١٥ طبع القاهرة ١٩٠٦ م ، بان المتوكل [بنى مسجدا جامعا فاعظم النفقة عليه وامر برفع منارة لتعلوا اصوات المؤذنين فيها وحتى ينظر اليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الاول] •

فوق قمة المنارة استدل منها انه ربما كانت تغطي ذلك الموضع سقيفة محمولة على ثمانية أعمدة خشبية مثبتة في تلك الثقوب • الا انه من الراجح ان هذه الحفر تعود لاعمدة رخامية شبيهة بتلك التي وجدت محيطة بالدعائم الآجرية التي كانت تحمل سقف الجامع وسنأتي على ذكرها بعدئذ •

أما الارتقاء الى المنارة فقد أبانت الحفريات التي قام بها الاستاذ هرتسفلد[٧] ، اضافة الى الاستكشافات التي أجرتها مديرية الآثار العامة عن وجود سلم منحدر طوله (٢٥) مترا وعرضه (١٢) مترا يبدأ من نقطة تبعد عن جدارالواجهة الشمالية للجامع بمقدار (٢ر٢٥) مترا ، ثم يأخذ بالارتفاع حتى يتصل بالقاعدة التي تقوم عليها المئذنة الملوية في المكان الذي يبدأ فيه السلم الحلزوني الذي يؤدي الى أعلى المنارة • وقد عثر هرتسفلد على دلائل تشير الى وجود ممر أرضي عرضه نحو المتر الواحد يقع بين المنحدر والضلع الجنوبية من قاعدة المنارة ، حيث يرتكز أحد جانبي الممر على القاعدة • كما لاحظ انتشار حفر صغيرة عديدة ومتعاقبة على جانبي المنحدر ، يستدل منها أنها ربما كانت تعود لاعمدة سياج كان بالاصل قائما على الجانبين • وأغلب الظن انذلك السياج من الخشب وربما كان مزخرفا بنوع من الزينة التي تشابه في أسلوب طرازها ماتحتويه الاسيجة الرومانية البيزنطية الكائنة في شرفات وأسيجة سلالم القصور والمعابد التاريخية • (أنظر المخطط رقم ٤) •

المداخل :

للجامع سبعة عشر مدخلا أساسيا يمكن اعتبار اثنين منها والموجودة في الضلع الجنوبية من المداخل الخاصة ، كما استحدث مدخلان منها في وقت لاحق من زمن البناء في الضلع الغربية • والمعتقد ان السبب يعود الى تعاظم عدد المصلين الذين يؤمون الجامع لأداء فريضة الصلاة • وقد أختيرت تلك المداخل بشكل يتناسب مع الاروقة الداخلية للمسجد وموزعة على أضلاعه الاربعة بالشكل التالي :

الضلع الشمالية :

في هذه الضلع ثلاثة مداخل رئيسة الاوسط منها أوسعها اذ يبلغ عرضه (٣ر٩٥) متر وهو يقابل المنارة الملوية تماما • أما المدخلان الآخران فيبلغ عرض كل منهما (٣ر٩٠) متر •

وهناك فتحتان أخريتان احداهما تقع بالقرب من الركن الشمالي الغربي للجامع عرضها (١ر٥٥) متر وارتفاعها (٢ر٢٠) متر • والثانية بالقرب من الركن الشمالى الشرقي عرضها (١ر٥٠) متر وارتفاعها (٢ر٢٠) متر • ولدى الكشف الاثري لوحظ ان تلك الفتحتين هما شرفتان أرضيتان تتسعان من الداخل وتضيقان من الخارج كان الغرض منهما للاضاءة • والدليل على أنهما كانتا شرفتين هو أن كلاً منهما ترتفع عن تبليط أرضية المسجد بنحو (٣٠) سم ، وتكون عادة مسرحة من الخارج نحو الداخل على

---

(٧) انظر البحث الذى نشره هرتسفلد عن آثار سامراء في الجزء الثاني من كتابه :
Archäologische Reise im Euphrat und Tigris — Gebiet.

عكس أرضيات المداخل التي تكون بمستوى تبليط الجامع • وهاتان الشرفتان قد استحدثتا مؤخرا وذلك لعدم وجود جوانب مستقيمة ومستوية في كل منهما ،وبعبارة اخرى انجوانبهما ليست لها وجوه أصلية وانما نحتتا ثم طليتا بالجص ، وما تزال آثارهما باقية الى اليوم • ومن الجدير ذكره ان مديرية الاثار العامة قد قامت في عام ١٩٦٥ بصيانة واعادة واحدة تشابههما في الضلع الشرقية لتكون أساساً يسترشد به الزائر • (انظر المصورتين ٥ و ٦) •

الضلع الشرقية :

تضم هذه الضلع خمسة مداخل رئيسة عرض كل منها (٣ر٩٠) متر باستثناء أحدها فقد وسع بعدئذ لسبب من الاسباب فبلغ عرضه (٤ر٨٥) متر •

وهناك فتحتان أخريان في هذه الضلع أحداها تقع قرب الركن الشمالى الشرقي ، وهي شرفة مستحدثة تشابه مثيلاتها في الضلع الشمالية • ويبلغ عرض فتحتها من الخارج مترا واحدا وارتفاعها (١ر٨٠) متر ، أما من الداخل فيبلغ عرض فتحتها (١ر٥٠) متر وارتفاعها (٢ر٣٦) متر • وقد رممت مديرية الاثار العامة عام ١٩٦٥ هذه النافذة الارضية طبقا للدلائل الاثرية القديمة ـ كما أشرنا مسبقا لذلك ـ فبدت من الداخل منخسفة عن وجه الجدار ومحاطة بعضادة مستطيلة الشكل تليها انجناءة (تقويرة) ثم اطار ضيق بهيئة افريز غير منقوش (انظر المصورة رقم ٥)

أما الفتحة الثانية فتقع قرب الركن الجنوبي الشرقي للجامع ، وهي باب صغير عرضه (١ر٤٥) مترا أحدث في الجدار في وقت لاحق ، وكان يؤدي الى أحد المرافق التابعة للجامع في ذلك الجانب من الخارج حيث ما تزال اثار عقادته واضحة يمكن مشاهدتها •

الضلع الغربية :

لهذه الضلع سبعة مداخل أساسية ، خمسة منها أصلية[٨] ومبنية على غرار مداخل الضلع الشرقية من حيث المقاييس والطرز المعمارية اضافة الى أنها تقابلها تماما • أما المدخلان الاخران فهما متأخران قليلا عن المداخل الخمسة السابقة اذ فتحا في الجدار في وقت لاحق عن زمن البناء ومن ثم طليا بالجص • ويبلغ عرض احدهما (٢ر٦٥) متر والاخر (٢ر٥٨) متر • ومن المحتمل جدا أن يكون سبب احداث مثل هذه المداخل تزايد عدد من يؤم الجامع من المصلين وتزاحمهم •

وتجدر الاشارة الى وجود باب صغير عرضه (١ر٣٥) متروارتفاعه (٢ر١٥) متر عند الركن الجنوبي الغربي للجامع يقابل تماما الباب الذي على شاكلته والموجود قرب الركن الجنوبي الشرقي • كما يمكن ملاحظة شرفة مستحدثة في هذه الضلع قريبة من الركن الشمالي الغربي تشابه الاخريات وتقابل الشرفة التي صانتها مديرية الاثار العامة والكائنة في الضلع الشرقية •

(٨) يقصد بالاصلية هنا ان المداخل قد خططت لتأسيسها هندسيا في وقت انشاء الجامع •

الضلع الجنوبية :

أما هذه الضلع فتضم محراب الجامع وهو بناء مستطيل الشكل عرضه (٢٫٦٠) متر وعمقه (١٫٧٥) متر[٩] تتصدره في كل جانب خسفتان متدرجتان تحتضن كل واحدة منهما عمودا من حجر الحلان[١٠] يقوم عليها قوسان مزدوجان يشكلان عقادة المحراب ضمن اطار مستطيل يرتفع بارتفاع جدار المسجد .

وقد دل التحري الاثري على وجود بابين في هذه الضلع أحدهما يقع الى يمين المحراب عرضه (٢٫٥٠) متر ، والثانية واقعة الى يساره وعرضها (٣٫١٥) متر . ويمكن اعتبار هذين البابين من المداخل الخاصة اذ تبين بنتيجة الحفريات التي اجريت خارج الجدار القبلي انهما ينفذان الى بناء مهم كائن في تلك المنطقة ربما كان مكانا لاستراحة الخليفة اذا جاء للصلاة . فالمعروف ان قصور الخلفاء في سامراء كانت بعيدة عن المساجد الجامعة فكانوا اذا ماجاءوا للصلاة يسيرون في مواكب فخمة يمتطون فيها الجياد ، ومن الطبيعي ان مثل تلك المواكب ترهقهم فينزلون في تلك الدار المشيدة قرب المحراب يقومون فيها بتبديل ثيابهم وتجديد وضوئهم حتى يدخلوا الجامع من أحد البابين المذكورين . وهناك رأي آخر يذهب الى ان احدى البابين كانت لدخول الامام المسؤول عن الجامع كي لا يتخطى الناس من ظهورهم اذا جاء للصلاة بهم .

وعلى سبيل المقارنة نجد في جامع أبي دلف في سامراء ـ الذي يبعد زهاء (٢٤) كم شمال جامع الجمعة ـ مثل تلك الابواب على جانبي محرابه ، في حين لانجد مثلها في كثير من مساجد المدن الاسلامية كالكوفة وواسط وذلك يعود الى أن دور الامارة كانت تشيد بجانب الجوامع وعلى مقربة منها[١١] .

وصف الجامع من الداخل :

ان المسجد يشغل مستطيلا طوله (٢٤٠) مترا وعرضه (١٥٦) مترا فكان بذلك من أكبر المساجد الاسلامية التي شيدت في مختلف العصور .

ويستدل من نتائج الحفريات التي أجريت في المسجد على ان طول جدار القبلة (١٥٠) مترا وعمق بيت الصلاة (٦٢) مترا ، والذي كان يضم تسعة أروقة للصلاة تحدها تسعة صفوف من الدعامات توازي جدار القبلة في كل منها (٢٤) دعامة تقسم الاروقة الى (٢٥) بلاطة . وكانت الدعامات مبنية بالاجر قاعدتها مربعة طول ضلع كل منها متران وترتفع بهيئة مثمن الى ارتفاع يقرب من (١٠٫٥) متر ، وعند كل ركن من أركان المثمن عمود طويل من الرخام اسطواني الشكل كان بالاصل أما من قطعة واحدة أو أكثر من قطعة . (انظر المخطط رقم ٢) .

وكان يحيط بصحن المسجد مجنبات في جهاته

---

(٩) يكون عرض المحراب الكلي من الداخل (٥٫٣٠) متر وعمقه اعتبارا من مستوى وجه الجدار الداخلي (٣٫١٥) متر .

(١٠) ان اعمدة المحراب المذكورة والتي من حجر الحلان هي من اجتهاد قسم الابحاث الاسلامية في مديرية الاثار العامة العراقية ، وقد تكون بالاصل من نفس المادة المذكورة أو لعلها من مادة اخرى .

(١١) سومر ـ المجلد الثالث ، الجزء الاول ص ٧٣ .

الثلاث الاخرى • ففي المجنبة الشمالية ثلاثة أروقة على نظام أروقة بيت الصلاة في كل منها خمسة وعشرون مربعة • أما في كل من المجنبتين الشرقية والغربية فأربعة أروقة تحدها أربعة صفوف من الدعامات باتجاه القبلة في كل منها اثنتان وعشرون دعامة أو ثلاثة وعشرون مربعة ، وبهذا يكون مجموع الدعامات الداخلية في المسجد قد بلغت (٤٦٤) دعامة[١٢] (انظر المخطط رقم ١) • وقد نشر الدكتور أحمد فكري في كتابه «المدخل» مخططا عن هرتسفلد يضم (٤٥٦) دعامة ، الا اننا نجد (٥٤٦) عمودا اسطوانيا في المخطط الذي نشره هرتسفلد عن الجامع في كتابه :

Archäologische Reise im Euphrat und Tigris — Gebiet, band III.

وفي أعلى الجدار القبلي (٢٤) نافذة ـ (١٢) نافذة على يمين المحراب و (١٢) نافذة الى يساره ـ كان الغرض منها اضاءة بيت الصلاة ، وكل نافذة بهيئة مشكاة تنخسف عن مستوى وجه الجدار محاطة باطار مستطيل ارتفاعه نحو (٢ر٥) متر وعرضه (١ر٩٠) متر وتنفذ فتحتها خلال أنصاف أعمدة جانبية تحمل عقدا مفصصا من خمسة انصاف دوائر ، العليا منها تشكل رأس العقد • والذي يلاحظ انه لا توجد مثل تلك النوافذ في بقية الجدران باستثناء اثنتين في جنوب كل من الضلعين الشرقي والغربي فتحتا في وقت متأخر ، ولعل السبب يرجع الى اتساع حرم الصلاة أولا ولسهولة وصول الضياء الى الاروقة الجانبية بسبب عمقها القليل ثانيا (انظر المصورة رقم ٧) • وقد وجد هرتسفلد بقايا زجاج غير ملون كان يغطي هذه الشبابيك •

أما صحن المسجد فهو واسع وفسيح وتشير الحفريات الاولى التي أجراها هرتسفلد انه كان فيه حوض للماء في وسطه نافورة لم يبق من آثارهما شيء في الوقت الحاضر • يقول اليعقوبي : (وجعل فيه فوارة ماء لا ينقطع ماؤها)[١٣] • ووصف الدكتور أحمد سوسة نقلا عن المستوفي بأن تلك الفوارة كانت من قطعة واحدة من الحجر محيطها (٢٣) ذراعا وارتفاعها سبعة أذرع وثخنها نصف ذراع وكانت تعرف بـ « كأس فرعون » • وقد نسب المستوفي بناء الفوارة والمئذنة الى المعتصم على ان بقية المصادر التأريخية الاخرى تشير الى انها تعود الى عهد المتوكل[١٤] •

أعمال الحفريات والصيانة التي اجرتها مديرية الاثار العامة في جامع الجمعة

لاهمية جامع الجمعة التأريخية والاثرية ، التفتت مديرية الآثار العامة العراقية لهذا الاثر الخالد منذ عام ١٩٣٧ • فقد اشتغلت فيه عدة مواسم قامت خلالها باجراء الحفريات والتحريات التي ترافقت باجراء أعمال الصيانة الاثرية في مناطق كثيرة من أجزائه حيث نقلت كميات كبيرة

(١٢) احمد فكري ـ المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها ص ٢٣٨ طبع القاهرة ١٩٦١
(١٣) اليعقوبي ـ البلدان ص ٣٢ •
(١٤) احمد سوسة ـ ري سامراء ، الجزء الاول ص ١١١ •

من الاتربة والانقاض من داخل المسجد ورممت جدرانه الى مستويات مختلفة خاصة من الخارج كما صانت المنـــارة الملوية (انظر المصورتين ٢ ، ٣) .

وفي عام ١٩٦٢ استؤنف العمل بصـــورة مستمرة ولسبعة مواسم لا تتجاوز مدة الموسم الواحد السبعة أشهر . اذ كانت توفد في كل مرة فرقة من موظفيها المختصين لاجراءالتحريات فضلا اضافة الى القيام بصيانة معظم أجزائه التي عدا عليها الزمن وأصبحت عرضة للسقوط . وما يزال ذلك الاهتمام مُنْصبا على هذا البناء التأريخي العظيم الى اليوم . وفيما يلي سنوضح ماهية الاعمال التي جرت في هذا الأثر القـــائم خلال المواسم السبعة الماضية .

بدأ العمل بنقل الاتربة والانقـــاض التي تراكمت بمرور السنين من جراء تساقط مرافقـه وجدرانه ، فقد نظف الرواقان الشرقي والغربي وكذلك الجانب الجنوبي الى حد التبليط[١٥] ، فظهرت معظم أرضية الجامع مبلطة بالآجـــر الكبير كما عثر على أسس الدعامات الكائنة في بيت الصلاة ونظفت تمهيدا لصيانتها وبالفعل تم ترميم البعض منها فيما بعد . بعدئذ انتقل العمل الى صحن المسجد فرفعت الانقاض منه وظهرت في وسطه آثار الفوارة التي أشرنا اليها سابقا ، كما نقلت كميات كبيرة جدا من الأتربة التي كانت متراكمة بين ســـوري الجامع الخارجي والداخلي حتى ظهرت جدرانه في مشهد يُدلل على روعة البناء .

وبعد استكمال التحري ونقل الاتربة من الجامع بدأت أعمال الصيانة ، حيث قلعتالاقسام المتآكلة من أضلاعه من الداخـــل وصينت الى مستويات مختلفة بنفس المواد المستخدمة أصـــلا وهي الجص والآجر مقاساته ٥ر١٠ × ٥ر١٠ × ٥ر٢ انج وتم التوصل الى معرفة حدث جديد في تاريخ الجامع وهو تلك الفتحات الصغيرة في الجدران والقريبـــة من أرضية المسجد والتي توحي للناظر انها مداخل صغيرة الا انها كانت شرفات ، كما ذكرناها آنفا . هـــذا ما تم من أعمال التحري والصيانة خلال السنوات الاولى.

أما في السنين اللاحقة فقد سار العمل على مرحلتين : الاولى اجـــراء التحري في المناطق الكائنة بين سوري الجامع الخارجي والداخلي لتبيان ما تُبطنه تلك المناطق من مرافق بنائيـــة يمكن الاهتداء بها الى معرفة التقاسيم العمرانية والطرز المعمارية المستخدمة . والمرحلة الاخرى هي اجراء الصيانة في الاقسام العليا من أضلاع الجامع لغرض المحافظة على الزخرفة الهندسية

(١٥) اثناء تنظيف الجدار القبلي من الداخل عثر على قطع زجاجية زرقاء غامقة مربعة الشكل طول الواحدة (٥٠) سم وسمكها (٥ر١) انـــج كانت بالاصل تزين الجزء السفلي من ذلك الجدار لارتفاع متر واحد اعتبـــــارا من تبليط ارضية الجامع ، حيث يلاحظ صفان من تلك القطـــع احدهما فوق الاخر ويكبس في الفراغات الحاصلة بينها مساند (تريشة) مدورة من نفس الزجاج مما يزيد من تماسك القطع الزجاجية التي كانت مثبتة في القديم على ثلاثة صفوف من الاخشاب. وما تزال آثار طبعاتها تشاهد بصورة جليـــة اسفل الجدار القبلي للجامع كما يمـكن مشاهدة البعض من هذه القطع معروضة الان في متحـف سامراء .

التي تظهر فيها من الخارج ، وترميم مناطق اخرى من المسجد .

الحفريات في الجامع :

ما يخص المرحلة الاولى فقد وُجّه العمل للكشف عن المرافق البنائية الكائنة خارج الضلع الشرقية للمسجد ، وبالرغم من الصعوبة التي وجدت في ملاحظة مقاطع الابنية والتي نتجت من قلع وتخريب غالبية الجدران من قبل أهالي المنطقة ، فقد تم استظهار وحدات بنائية ومرافق مضافة مختلفة تفصل بينها شوارع مبلطة بالآجر الكبير كما يفصلها عن جدار الجامع الشرقي شارع آخر مبلط بنفس النوع من الآجر عرضه (١١) مترا[١٦] . والذي تبين هو التناظر الكبير بين تلك الابنية من حيث مخططاتها الهندسية اذ شيدت بهيئة مربعة تزين جدرانها الخارجية الطلعات المتعددة (المساند) وكانت مادة البناء المستخدمة هي الجص والآجر الكبير المربع الشكل الذي يتراوح طول ضلع الواحدة بين (٢٦سم - ٢٨سم) وسمكه بين (٥سم - ٦سم) كما وان أرضيات تلك الابنية صُفّت بهذا النوع من الآجر أيضا .

وأثناء عملية تتبع أسس جدران الابنية السالفة الذكر تكشفت ظاهرة خاصة هي العثور على قواعد مربعة عند أركان التقاسيم البنائية مشيدة بالآجر ، وطول ضلع القاعدة الواحدة (١٫٦٠) متر والمسافات بينها متساوية تقريبا تتراوح ما بين (٢٫٧٠ متر - ٢٫٩٠ متر) . ويربط هذه القواعد مع بعضها جدران عرضها يتراوح ما بين (٥٩سم - ٦٥سم) مبنية بصورة ملصقة (حل) عليها - أي على القواعد - وتمتد هذه الجدران لتنتهي عند القواعد الموجودة في الاركان الاخرى من المرافق البنائية ، وهكذا وكأن تلك الابنية قد شيدت على شبكة من القواعد المربعة التي تتخللها الجدران الساندة (انظر المخطط رقم ٣) .

والملاحظ من الحفريات التي جرت في تلك المنطقة ان الجدران لا ترتفع الى مافوق تبليط أرضيات الغرف بدليل ان الآجر الذي رُصفت به الأرضيات يغطيها ، وأما القواعد المربعة فيرتفع بناؤها الى الأعلى لتشكل بعدئذ مساند لعقادات مختلفة ، وقد شيدت بينها الجدران لغرض الاسناد .

لا نستطيع التأكيد على ان الابنية المكتشفة بجوار الضلع الشرقية للجامع كانت مستخدمة للسكن بالمعنى الصحيح ، حيث لم يعثر في معظمها على دليل لساحة حولها الغرف والمرافق الاخرى كما هو مألوف في طراز أغلب العمائر الاسلامية - باستثناء أحدها وسنأتي على وصفه بعد قليل - ولعلها تكون قد أنشئت عندما اقتضى توسيع الجامع لاضافة مرافق اخرى بسبب تكاثر عدد المصلين وازدحام الجامع بهم ، أو انها كانت

---

(١٦) ان هذا الشارع يتلاشى مع جدار الجامع الشرقي . وقد ظهر بعد تنظيف احد مداخل هذا الجدار - وهو المدخل الاول من الشمال - تسريحة على عرض المدخل تستمر في الانحدار حتى تتلاشى مع الشارع المذكور وهي مبنية بالآجر ، سطحها وجوانبها مطلية بالجص . ولا شك ان معظم مداخل الجامع من الخارج مشيدة على غرار هذا الطراز .

بمثابة مظلات للزوار كي يستظلوا بها ٠

أما الدار التي اكتشفت شمال الضلع الشرقية للجامع فيختلف طراز بنائها عن تلك الأبنيـــة المتقدمة الذكر ٠ والمعتقد انها اتخذت بيتا لأن تقاسيمه العمرانية تشير الى انها صممت لتكون مستخدمة للسكن حيث شيدت على الارض البكر التي هي في جوهرها كلسية مخلوطة بالتراب والحصى[١٧] ، وقد شقت فيها الاسس لعمـق يربو على (٥٠)سم ٠ وتضم الدار ساحة وسطية كبيرة مســتطيلة الشكل طولها (٨٠ر٣٠) مترا وعرضها (٨٠ر٢٢) مترا ، في كل من جهتيها الشرقية والغربية خمس غرف ٠ ويحف بالساحة من جانبها الجنوبي دار كبيرة تطل على الساحة وهي شـبيهة بالدور المكتشفة في سامراء والتي تتكون عادة من رواق[١٨] مفتوح على الساحة فيه عدة غرف ٠ وهذا الطراز من الابنية يعرف بالطراز الحيري[١٩] وقوامه المقدمة والقلب في الوسط وعلى الجانبين الجناح الأيمن والجنـاح الأيسر ، وأحيانا يضاعف هذا الطراز بزيادة من الجوانب أو المؤخرة[٢٠] ٠

وفي جنوب هذه المجموعة ، مجموعة اخرى من الابنية العمرانية تدل معالمها القليلة على انها تشابه الابنية المنتشرة بالقرب من الضلع الشرقية للجامع (انظر المخطط رقم ٧) ٠

أما الجانب الشمالي من هذه الدار ـ الذي يقع شمال الساحة ـ فلا تزال تغطيه الاتربـة حيث لم تسنح الفرصة لاكمال الحفريات فيه وبيان ما يحويه ذلك الجزء من الابنية ٠ الا انه يمكن التكهن بأن تفاصيل المرافق هنـــاك تتناظر كثيرا مع ما اكتشف في الجزء الجنوبي من هذا المسكن ٠ والملاحظ في هذا البناء ان جدرانه الخارجية أسندت بالطلعـــات العديدة وان الآجر الذي بلطت به الارضيات هو نفسه المستخدم في البناء ٠ وقد وجدت بعض الصعوبة في ملاحظـة عرض الجدران وتثبيت مداخل الغرف والقاعات على وجه الدقة والسبب ـ كما ذكرنا ـ يرجع

---

(١٧) ان الارض البكر (الارض الطبيعية) لهذه الدار تنخفض بمسافة تزيد على المتر الواحد عن الارض الطبيعية التي شيد عليها جامع الجمعة وهذا راجع بالطبع الى انحدار مستوى الارض في تلك الجهة ٠

(١٨) ان الرواق الذي اكتشف في هـــذه الدار مستطيل الشـــكل طوله (٨٠ر٢٥) مترا وعرضه (٨٠ر٣) متر ٠

(١٩) انظر نشرة مديرية الاثار العامـــة الخاصة بحفريات سامراء ـ الجزء الاول ص ٢٧٠

(٢٠) جاء ذكر الطراز الحيري في كتـــاب مروج الذهب للمسعودي ـ الجزء الســـابع ص ١٩٢ طبع اوربا اذ قال :

[واحدث المتوكل في ايامه بناء لم يكـن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكميّن والاروقة ٠ وذلك ان بعض سمّاره حدثـــه في بعض الليالي ان بعض ملوك الحيرة ، من النعمانية من بني نصر ، احدث بنيانا في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب للهجه بها وميله اليها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر احواله ، فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين اللذين همـــا الكمان من يقرب اليه من خواصه ، وفي اليمين منها خزانةالكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب ٠ والرواق قد عم فضاؤه الصـــدر والكمين ٠ والابواب الثلاثة على الرواق ٠ فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين ، اضافة الى الحيرة ٠ واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية] ٠

الى التخريب الحاصل بنتيجة قلع معظم آجر الجدران والاسس • ومع هذا فقد تم استظهار أربعة مداخل للغرف تؤدي جميعها الى الرواق الجنوبي للساحة يتراوح عرضها ما بين (٢٠ر١ متر ـ ٣٠ر١ متر) • وقد ظهرت عند جانبي أركان اثنين من تلك المداخل زخرفة من الجص (عضادة) عرضها ٣٢سم • ومن المحتمل أن تكون معظم مداخل غرف هذا المسكن والابنية الاخرى الكائنة جوار الضلع الشرقية مشيدة على غرار هذا الاسلوب الذي شاع استعماله في أبنيـــة سامراء •

وقد وجد ان هذه الدار يفصلها شـــارع عرضه (٧٠ر٩) متر عن البناء الذي يليه باتجاه الجنوب ، كما يحجزه شارع آخر عرضه (١٢) مترا عن بناء آخر يقع الى الغرب منه[٢١] ، وكلا الشارعين مرصوفان بالآجر أيضا (انظر المخطط رقم ٧) •

اعمال الصيانة الاثرية :

بعد أن عملت مديرية الآثار العامة في السنين الاولى من مواسم العمل على صيانة الوجـوه الداخليـــة لاضلاع المسجد ، اتجه العمل في السنوات اللاحقة الى صيانة تلك الاضـــلاع من الخارج • وقـــد تم لحد هـــذا الوقت ترميم الضلع الشمالية من الجامع وهي التي تقـــابل المنارة الملوية على بعد بضعة أمتار عنها • ولأجل ما أصاب هـــذه الضلع من التآكل والتخريب مثلها في ذلك كمثل بقية الاضلاع قامت المديرية باصلاح التصدعات الحاصلة فيها[٢٢] اضـــافة الى اكمال الزخرفة الهندسية الكائنة في الاقسام العليا منها ، وقوامها مشكاوات مدورة ومقعرة قطرها نحـــو متر واحد ، ومؤطرة بآجر منتظم رصف بوضع مائل على جوانبـــه فشـكل بذلك اطارا مربعا تقريبا ضلعه نحو (٧٠ر١) متر • وبين كل برجين ست مشاكي عدد قليل منهـــا وجد كاملا وأغلبها انهار وأصابه التلف بحيث لم يبق منها غير أقسامها السفلى لذا أعيدت طبقا لمعالمها القديمة الدالة (انظر المخطط رقم ٥) •

وتشير الدلائل الى وجود أربعة صفوف من الآجر تعلو تلك المشكاوات ثم تختم الواجهـــة بعـــدئذ بافريز مؤلف من صفين من الآجـــر الاسفل منهما يبرز بمقدار انجين عن مستوى وجه الجدار ويبرز الثاني بمقدار انجين عن مستوى الصف الاول • وما تزال آثار هـــذا الافريز باقية لحد الان[٢٣] (انظر المخطط رقم ٦) • والذي يبدو ان هذا الافريز يستمر بتغطية جميع أجزاء الواجهة الشمالية من الخارج حتى ينتهي عند الابراج الدائرية الكائنة في أركان الجامع الاربعة ، اذ لم يعثر على دليل يؤكد التفافه حول الابراج الركنية التي تستمر بالارتفاع الى مستوى

---

(٢١) ان هذا البناء يقع شمال جامع الجمعة على الجانب الشرقي من منارته الملوية ويبعد عنها نحو (١٥) مترا •

(٢٢) كانت الصيانة تجرى بنوع من الاجر الفرشي وهو يشابه ما استخدم في الاصل وقياسه ٥ر١٠ × ٥ر١٠ × ٥ر٢ انج •

(٢٣) ويلاحظ انتشار هذ االنوع من الافريز في الاقسام العليا من واجهات قصر العاشق الذي يقع على الضفة الغربية من نهر دجلة مقابل دار العامة • ويبعد هذا القصر عن شمال مدينـــة سامراء الحالية بنحو (٨) كم •

يعلو حد الافريز مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن الافريز المذكور يدور حول جميع واجهات الجامع باستثناء الابراج الاربعة الكائنة في أركانه .

وتتخلل هذه الواجهة ـ كما في غيرها من الواجهات ـ العديد من الميازيب المستحدثة لغرض تصريف مياه الامطار . ويتراوح عرضها ما بين (٣٧سم ـ ٤٠سم) وعمقها مابين (٢٧سم ـ ٣٠سم) صينت تبعا لما كانت عليه . وقد انشئت تلك الميازيب في وقت متأخر ، اذ لم يحسب لها حساب عند البدء بتخطيط الجامع ، بدليل ان البعض منها يخترق المشاكي التي تزين الاقسام العليا من الواجهة اضافة الى انها استحدثت بحت الجدران ثم طليت بالجص[٢٤] (انظر الصورة رقم ١) .

صيانة محراب الجامع :

بالاضافة الى الاعمال السالفة الذكر فقد رمم محراب جامع الجمعة الموجود في الجدار الجنوبي بصورة مقاربة لما كان عليه[٢٥] . ولعدم وجود معالم أصلية للاعمدة فقد ارتأت مديرية الآثار العامة وضع أعمدة من حجر الكلس كل منها بقاعدة وتاج بسيط لا يخرج عن بعض التفاصيل التي ظهرت في أعمدة اخرى كانت من بقايا مباني سامراء ومنها أعمدة جصية معروضة الآن في متحف سامراء . أما من ناحية ارتفاع قاعدة قوس المحراب فقد تحدد استنادا الى البقايا الاصلية الموجودة على كتف المحراب الايسر كشاهد لذلك . (انظر المصورتين ٨ ، ٩) .

وأخيرا فان ما تقدم هو ما قامت به الهيئات الفنية التي أوفدتها مديرية الآثار العامة من أعمال الحفريات والصيانة في جامع الجمعة في سامراء خلال مواسم العمل السبعة الماضية . وقد استهدفت المديرية العامة ـ قدر المستطاع ـ المحافظة على هذا الاثر التاريخي العظيم والمشهور بمنارته الحلزونية التي ظلت تتحدى الدهر لترمز الى ما وصل اليه فن العمارة الاسلامية آنذاك من روعة ودقة وابداع .

---

(٢٤) من المحتمل انه كان هناك نوع من انابيب فخارية مجوفة واسطوانية الشكل استخدمت لغرض تصريف مياه جامع الجمعة ، الا انها لم تف بالغرض المطلوب على احسن وجه فحلت محلها تلك الميازيب المستحدثة . والجدير بالذكر ان ذلك النوع من الانابيب يلاحظ انتشاره بصورة كبيرة في ابنية سامراء القديمة .

(٢٥) انظر وصف المحراب في بداية المقال .

مخطط رقم ١
مخطط جامع الجمعة في سامراء (منقول عن كرسويل)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

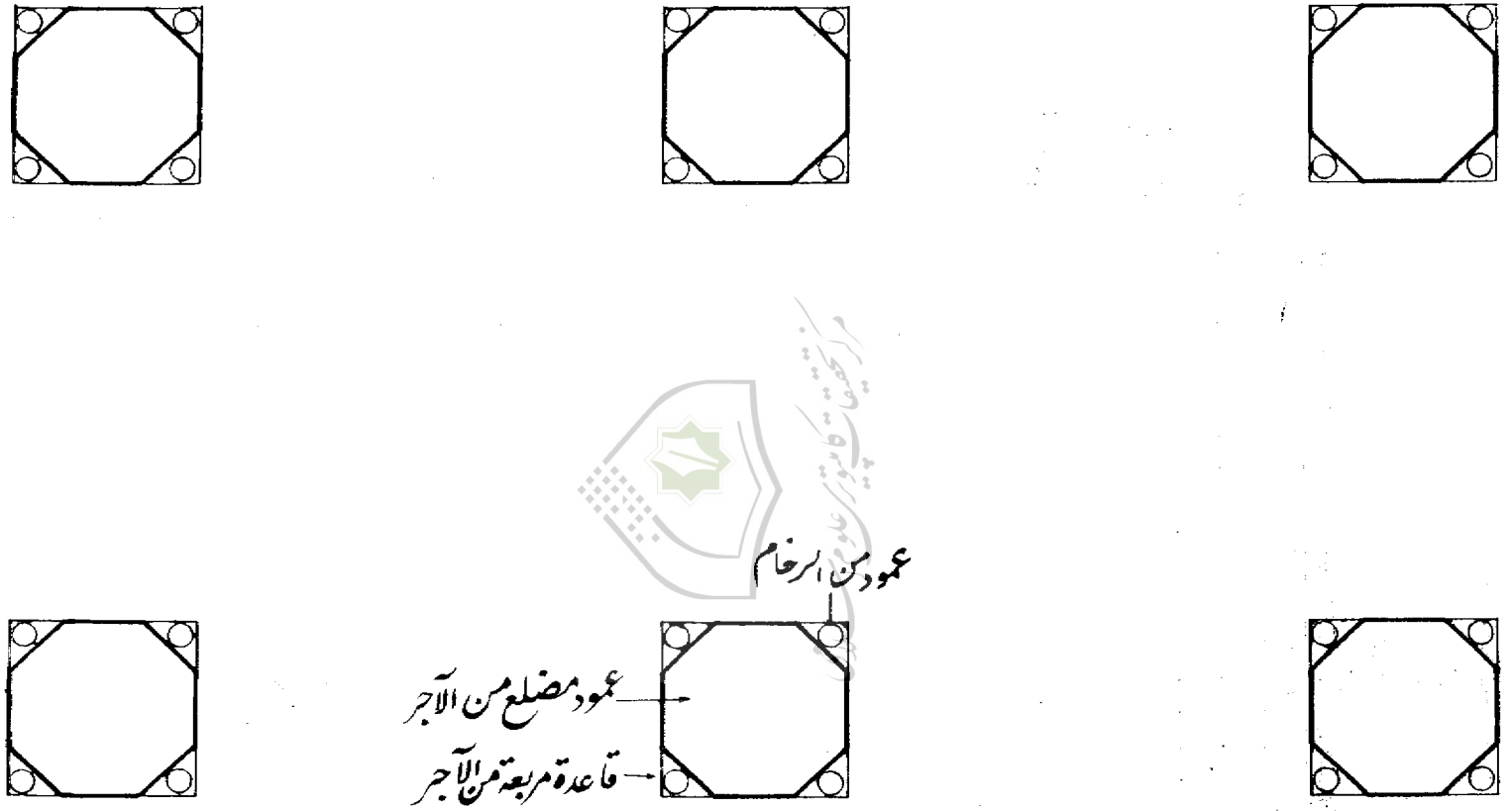

مخطط رقم - ٢ -

الدعامات الكائنة في بيت الصلاة

مقياس الرسم
١ : ٥٠

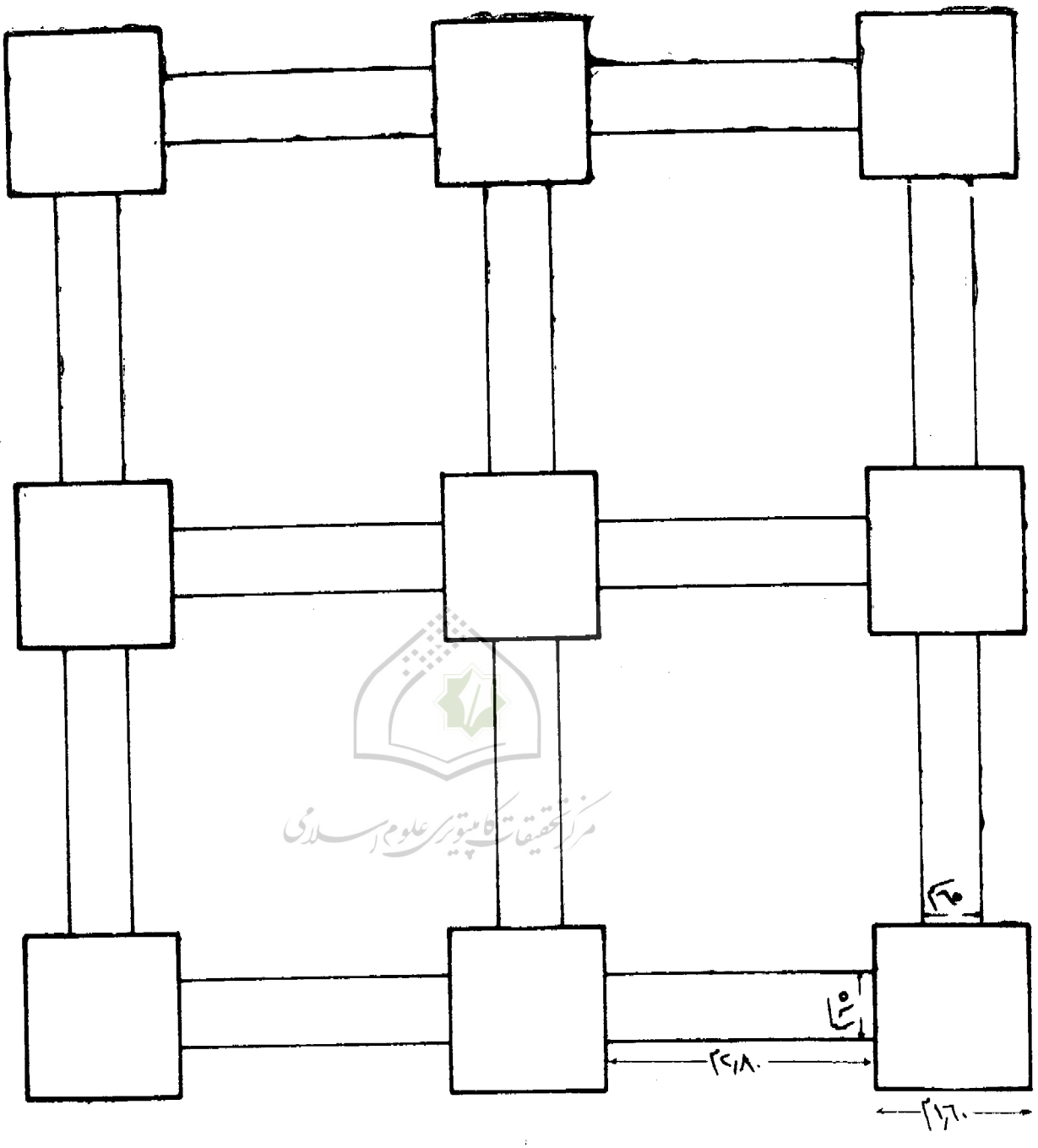

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مخطط رقم - ٣ -

القواعد المربعة التي تتخللها الجدران الساندة المكتشفة عند أسس المرافق الموجوده جوار الضلع الشرقية للجامع

مقياس الرسم ١:٥٠٠

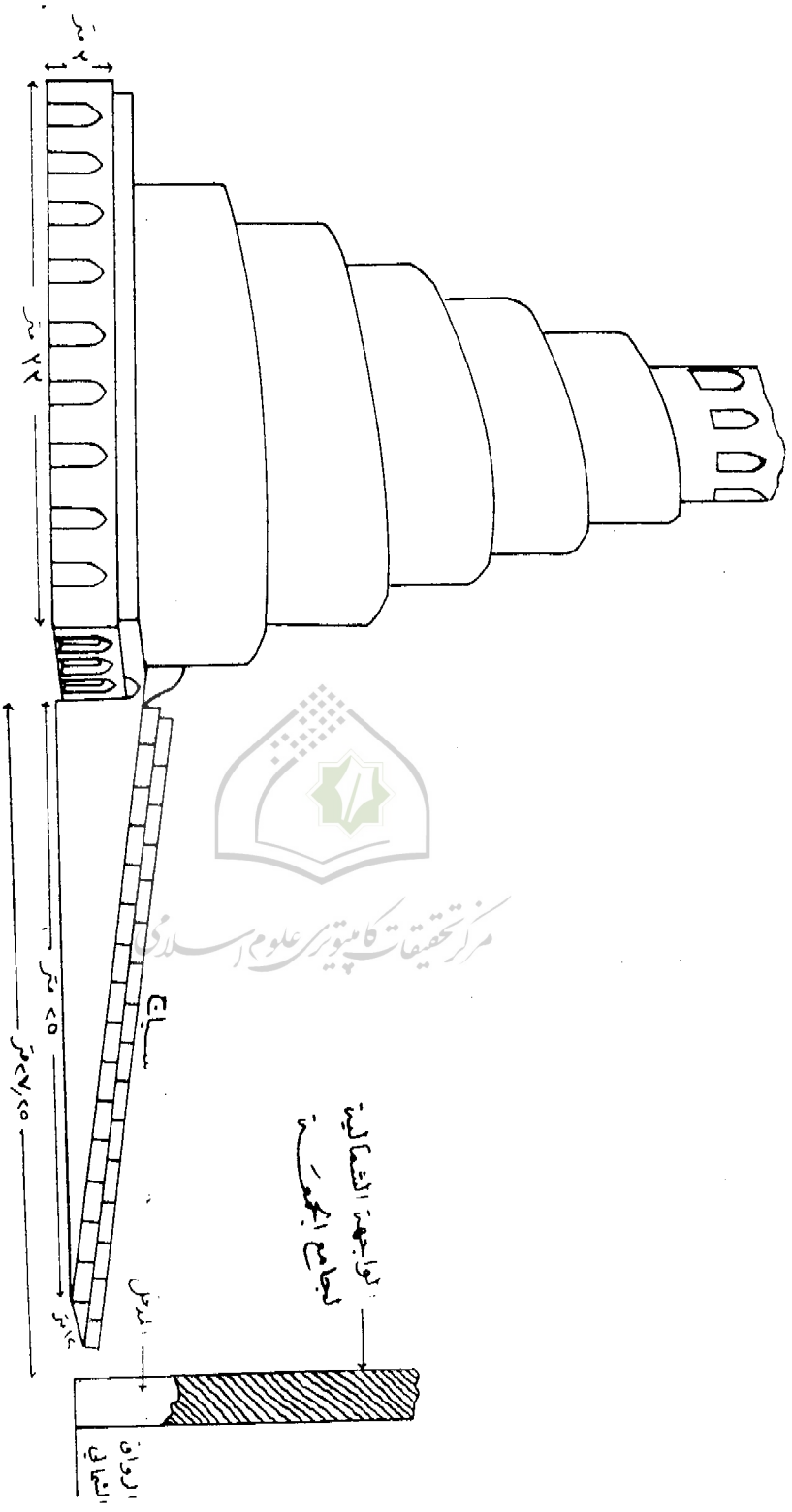

مخطط رقم - ٤ -

مخطط تقريبي يبين الشكل الذي يرجح أن يكون عليه
الجامع الكبير في الكوفة

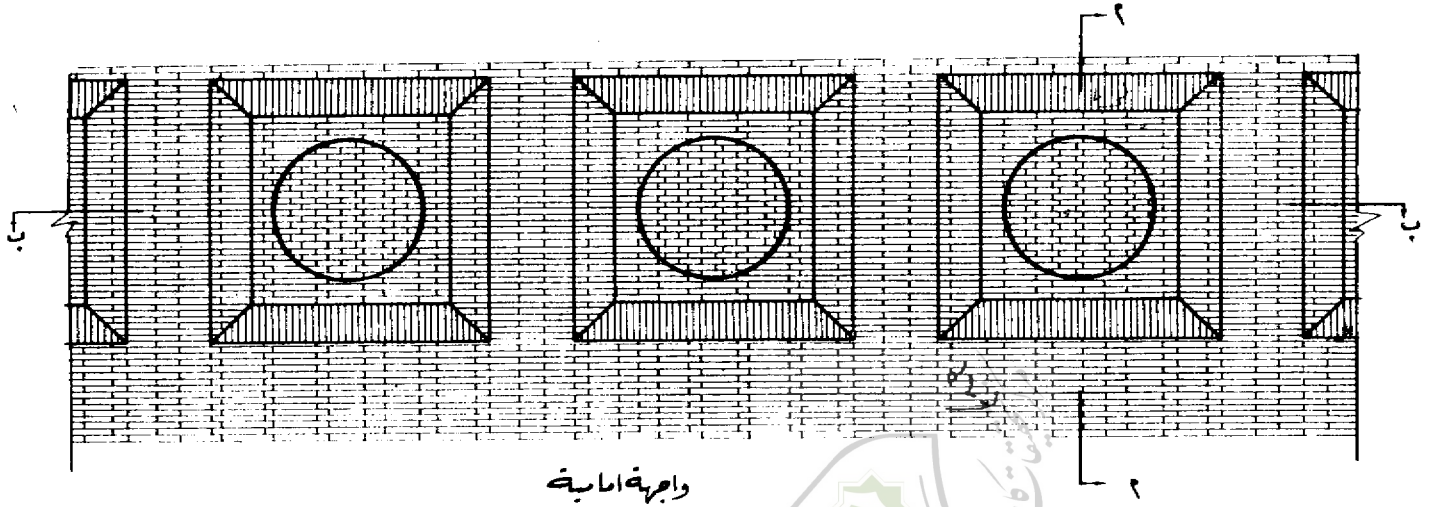

واجهة امامية

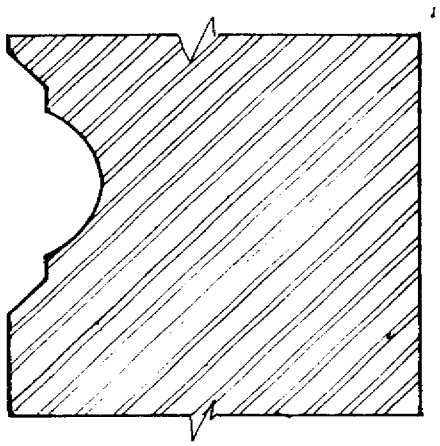

مقطع عمودي (آ - آ)

«مخطط رقم ٥»

الشكال التي يزين المستويات العليا
من واجهات جامع الجمعة

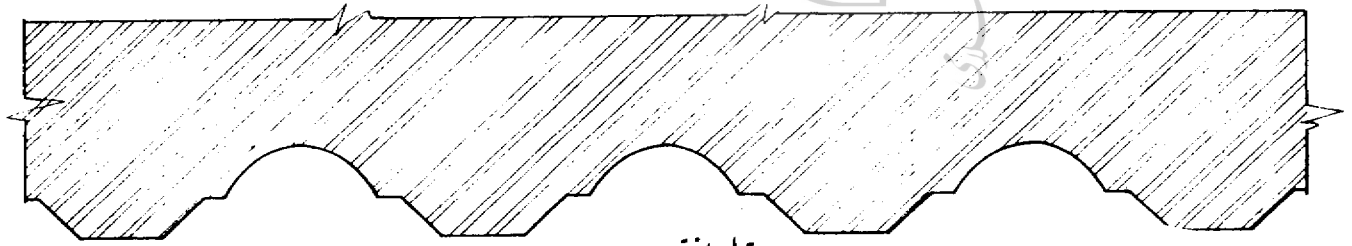

مقطع افقي (ب - ب)

مخطط رقم ٥

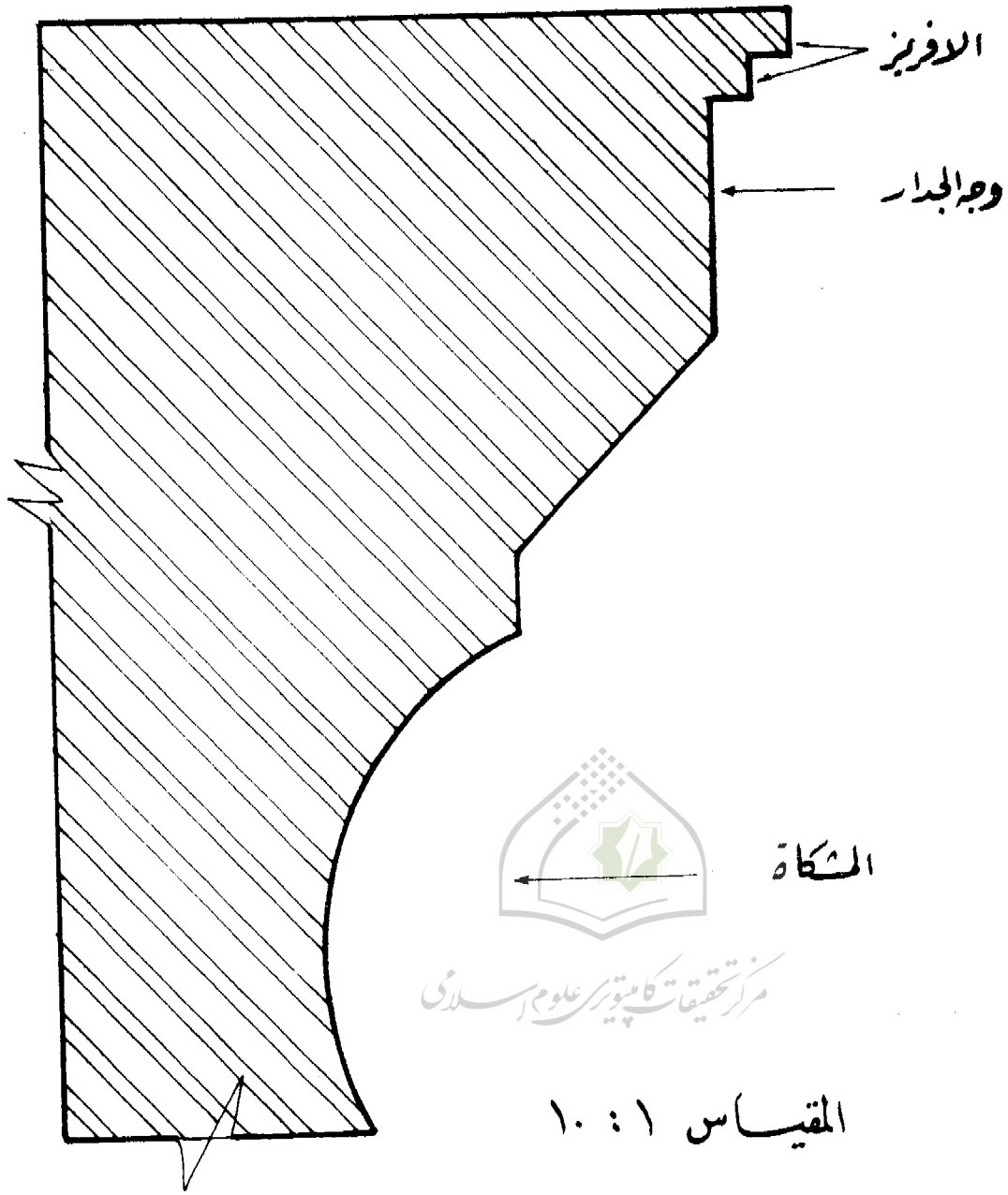

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

« مخطط رقم ٦ »

مقطع عمودي يبين الافريز الموجود في الاجزاء العليا من جدران جامع الجمعة

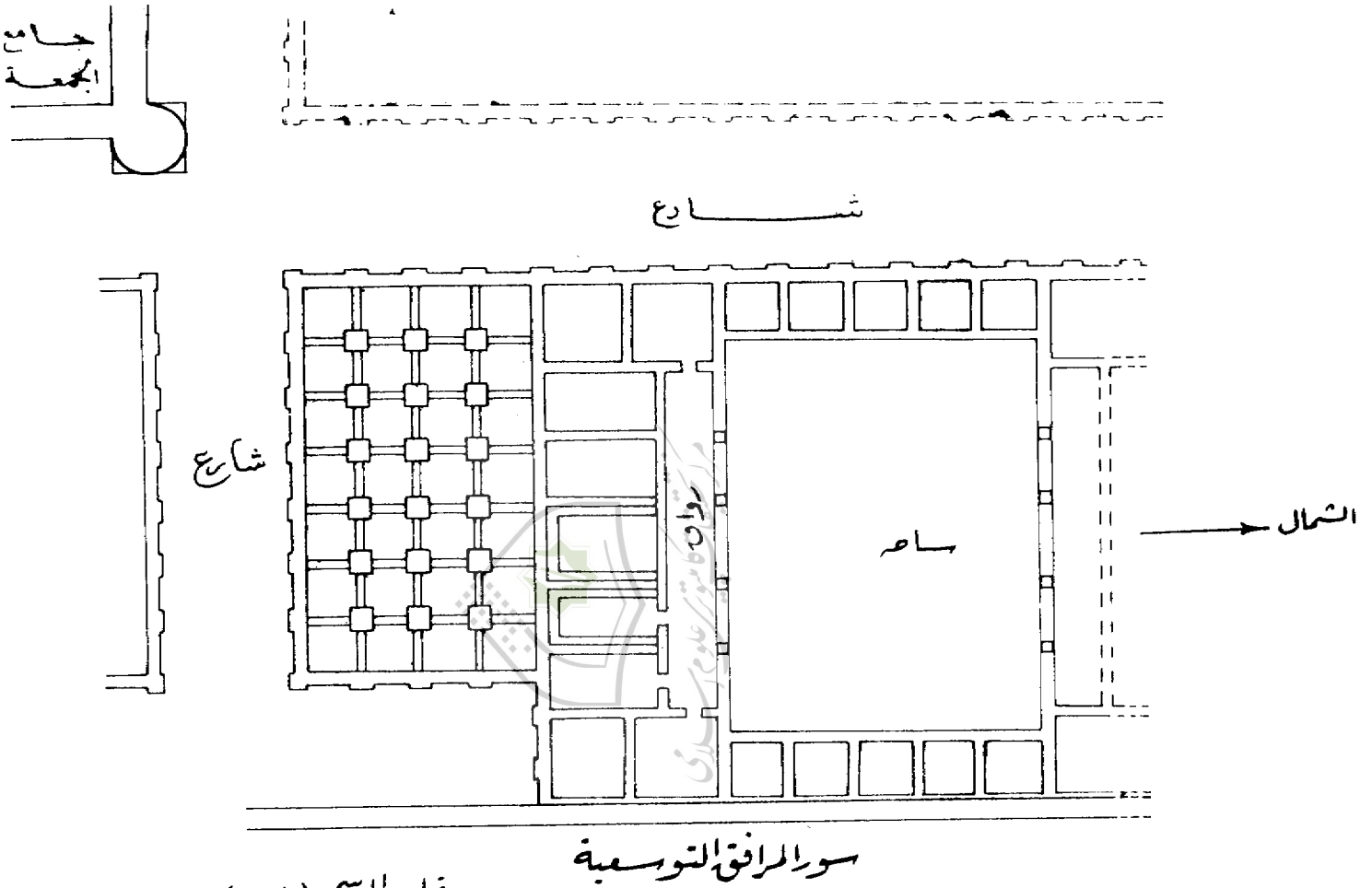

مقياس الرسم ١ : ٤٠٠

«مخطط رقم ٧»

الدار التي اكتشفت شمال الضلع الشرقية لجامع الجمعة